ندوة

في حلقة نقاشية أُقيمت أخيراً، استعاد الكاتب والأكاديمي الكوسوفي السوري محمد م. الأرناؤوط تجربة المثقّف الموسوعي العثماني الفكرية، مشيراً إلى أنّها استندت إلى دعامتَين أساسيّتَين: الاهتمام باللغة وبأحيائها، وتقديم مفهوم مغاير للدولة العثمانية

## محمد م. الأرناؤوط العلمانية والقومية والتعدُّد في سياق عثماني

# شمس الدين سامي فراشري

عماد الأحمد

لا يزال الجدل مستمرّاً ومتجدّداً في البلاد العربية حول العلمانية كمفهوم، وحول إمكانية تطبيقها في مجتمعاتنا. وقد تعزّز هذا الجدل مع دخول الأحزاب الإسلامية بشكل أكبر الحلبة السياسية بعد «الربيع العربي»، ونبْشها في التراث لإعادة تموضُعها من خلال طرح مفاهيم قديمة رفضتها سابقاً، وتبنّتها حديثاً؛ مثل مفهوم الدولة المدنية، ومراجعاتها حول الديمقراطية وأنظمة الحكم. وفي المقابل، لا تزال الأطراف العلمانية، بصقورها وحمائمها، تُصرّ على أنّ العلمانية، «شاملة» كانت أو «جزئيّة»، مظلّةٌ تُشكّل ضماناً للأقليات العرقية والدينية، وطريقاً باتجاه واحد نحو التقدُّم المنشود ونزْع غباءة التراث وغيره.

دراسةُ الأعمال الكلاسيكية وأثرها على الحاضر خيارٌ يراه كثير من الباحثين والأكاديميّين أفضل من القطع مع التراث والانفصال عنه. يفتح هذا النبش التاريخي الباب على مصراعيه لانتقاء مفكّرين قد يكونون مجهولين أو منسيّين على الصعيد العربي، لمحاولة فحْص إجاباتهم عن الأوضاع القلقة التي كانت تعيشها مجتمعاتهم، وحلولهم المقترحة للمشاكل التي تشبه مشاكلنا اليوم، لنتفاجأ باقتراحات عُيّبَت عمداً أحياناً وسهواً في أحيان أخرى.

«شمس الدين سامي فراشري (1850 - 1904): جدل العلمانية والدين والتعدّدية القومية في إطار الدولة العثمانية» هو عنوان حلقة نقاشية أقامها، عبر تطبيق «زووم»، «المعهدُ الفرنسي للشرق الأدنى»، بالتعاون مع «المعهد الملكي للدراسات الدينية» في عمّان و«معهد الدراسات الشرقية» في كوسوفو في السابع من نيسان/ إبريل الجاري، وقدّمها الكاتب والأكاديمي الكوسوفي السوري محمد موفق الأرناؤوط، وأدارها الأكاديمي عامر الحافي من «المعهد الملكي للدراسات الدينية»، وعبد الحميد الكيالي من «المعهد الفرنسي للشرق الأدنى».

تحدّث الأرناؤوط، المتخصّص في الأدب المقارن وفي التاريخ الحديث، وعضوُ أكاديمية العلوم في كوسوفو وأكاديمية العلوم في البوسنة، عن سامي فراشري، الفيلسوف والكاتب المسرحي والروائي العثماني الموسوعي، ورائد القومية الألبانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وأعماله الأدبية التي شغلتْ أوّل رواية في الأدب التركي، ومسرحياته التي لاقتْ رواجاً كبيراً، بعد أن أدرك إمكانية بثّ أفكاره من خلال الروايات والمسرحيات والمقالات الصحافية.

بدأ الأرناؤوط الجلسة بالتنويه بفكرة المئويات وأهميتها في الاحتفاء بإنتاج الكتّاب الراحلين، والفسحة التي تمنحها لتقييم أعمالهم ودراسة مدى راهنيّتها وأهميّتها في وقتنا الحاضر. ثمّ حدّد الفضاء الفسيح الذي كان شمس الدين سامي فراشري يتحرّك فيه، والذي شمَل الفضاء العثماني والتركي والألباني والعربي والكردي وغيرها من المكوّنات التي شكّلتْ الإمبراطورية العثمانية. وتوسّع الأرناؤوط في مشروع فراشري السياسي، الذي يقوم ويشدد على الدولة الدستورية القائمة على التعدُّدية والمساواة بين الشعوب، مشيراً إلى ميل الأخير وتحبيذه للعلمانية «الناعمة» وفق النموذج الأنكلوسكسوني.

رسم لـ شمس الدين سامي فراشري في تيرانا

> دعا إلى دولة دستورية قائمة على التعدّدية والمساواة
>
> بثّ أفكاره السياسية في الأدب ليُحقّقَ لها الانتشار

أشار المتحدّث أيضاً إلى تأثيرات أصول فراشري البكتاشية، التي جعلته يُفضّل النموذج الأقرب للعلمانية وفق النموذج الأتاتوركي، بالإضافة إلى ولادته في جنوب ألبانيا في منطقة يغلب عليها التنوّع الإثني والقومي والديني، وكيف تعلّم وأجاد خلال فترة نشأته قرابة عشر لغات، أبرزها اليونانية القديمة والحديثة والإيطالية والفرنسية والعربية والتركية والفارسية. اشتمل نتاج شمس الدين سامي فراشري، الغزير للغاية، على حقول متنوّعة بين المسرح والرواية والمقالة والقواميس والفهارس، وقام مشروعه الفكري على دعامتين أساسيتين: الاهتمام باللغة وبإحيائها وإصلاحها، لكونه يؤمنُ بأن اللغة هي المحدّدُ الحقيقي للجماعة، وأنّ أيّ جماعة ينبغي أن تتمتّع بالحق في التعليم والكتابة والنشر بلغتها، ليتكوّنَ من خلال هذه اللغة وعيٌ ملائمٌ للعصر. أما الدعامة الثانية، فهي مفهومه المغاير للدولة العثمانية، التي رآها دولة دستورية تقومُ على التنوّع والمساواة بين شعوبها، حيث دفعته خشيتُه على هذه الدولة إلى الترويج لهذا المفهوم، عسى أن تتبنّاهُ وتحجزَ لنفسها مقعداً بين الدول المتقدّمة، لأنه رأى أنّ الحكم المطلَق هو سبب تخلّفِ هذه الدولة وأي دولة كانت. لذلك اقترح خطّين للدفاع قام أوّلُهما على السؤال الآتي: ماذا لو تحوّلت الدولة العثمانية إلى دولةٍ دستورية؟ سنتفادى عندها مفهوم «الترميم» و«الإصلاح» للوصول إلى دولةٍ متقدّمةٍ ترعى حقوق رعاياها، وتصبحُ في مصافّ الدول المتقدمة. أما خطّ الدفاع الثاني، فكان بعد توقّع الأسوأ، أي ألّا تقبل الإمبراطورية التحوّلَ إلى دولةٍ دستورية، وعندها لا بدّ من تمكين الجماعات من هويّاتها وثقافاتها وقدراتها الذاتية لإدارة نفسها من خلال كيانات منفصلة (أوتونومية).

توصّل فراشري بعدها إلى تلك الفكرة الرائدة التي تقول بالوطن الكبير والوطن الصغير والجمع بينهما ضمن الشرط الدستوري. ولا بدّ للقيام بذلك في وطنه الصغير ألبانيا من إصلاح اللغة الألبانية، والسعي لاكتساب ألبانيا الحكم الذاتي في حال انهيار الوطن الكبير. لقد أكّد في أعماله الأدبية هذه الأفكار، ونبّهها في سطورها لكي يُحقّقَ لها الانتشارُ المطلوبُ دون الاصطدام المباشر بالنُخبة الحاكمة.

ختم الأرناؤوط الندوة بالإسهاماتِ الريادية والأصيلة التي قدّمها شمس الدين سامي فراشري، والتي لخّصها في أنّه أول من ترجَمَ رواية «اليُوسف» إلى اللغة التركية، وأنه صاحب أول روايةٍ في الأدب التركي، وأوّلُ من اشتقّ مصطلح «الوطنيّة» من كلمة الوطن باللغة العربية، وأوّل من أشار في مسرحيّته إلى حقوق المرأة كمصطلح، وأنّه بالنسبة إلى الألبانيين مُؤدلجُ القوميّة الألبانية. وبالنسبة إلى الأتراك صاحبُ اقتراح استبدال الحرف العربي في كتابة اللغة التركية بالحرف اللاتيني.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

### إعادة تفسير الماضي

افتتحت ندوة الأرناؤوط (الصورة) سلسلة ندوات بعنوان «الأديان والمجتمعات: وجهات نظر مقارنة»، والتي تناقش الخطابات السياسية اعتماداً على التعدُّدية الدينية والاجتماعية في سياق تاريخي، بهدف «إعادة بناء سِيَر المفكّرين محلّ الدراسة لتحيد الرّ الايديولوجيا والاسطورة والذاكرة الجمعيّة عند تفسير الماضي، واستكشاف النماذج المعاصرة في إعادة قراءة هذا الإرث الفكري».

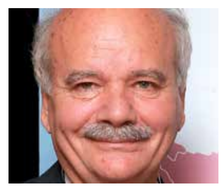

قراءة

## يسرى مقدّم نص ليس ككل الروايات

# صباح الخامس والعشرين من شهر ديسمبر

قد يتراءى لنا النصّ رواية، أو درساً بسيكولوجياً، أو تحقيقاً حول الأمومة، أو مذكّرات، لكنه في تنوُّعه لا يفعل شيئاً محظوراً على الرواية

عباس بيضون

انتظرت يسرى مقدّم حتى الفصل الأخير من الكتاب لتقف عند ما يبدو أنه بداية متأخّرة لكتاب بُني عليها، ولتُفصح هكذا عن سبب الكتاب وسرّ عنوانه «صباح الخامس والعشرين من شهر ديسمبر». في هذا الفصل، تُخبرنا الراوية كيف حدّقتْها ابنتها من الصورة العائلية ونشرتها بدونها. هذا الغياب ليس جديداً على الرواية، فهو تقريباً يتوارد مراراً في الكتاب، فالأمّ الغائبة والغياب الأمومي لا تلبث الرواية أن تعود إليهما مرّة بعد مرّة. قد يتراءى لنا لذلك بعد قراءة الفصل الأخير أنّ الراوية، ربما أرادت أن يكون ذلك موضوع الكتاب، أو على الأقل محوراً فيه. لا يسع القارئَ إذ ذاك إلّا أن يسمح لنفسه بقراءة معكوسة للكتاب من آخره إلى أوائله، حيث نعثر في الصفحة الأولى على ملاحظة عن جنس النص تقول إنه «تشكّل من تلقائه... نصّاً حراً، سائب الضفاف». والحال أننا نحتار فعلاً أمام شكل النص ومعماره، وقد يتراءى لنا رواية، فيما يبدو درساً بسيكولوجياً، أو تحقيقاً حول الأمومة، أو اعترافاً ومذكّرات، لكن هذه الحيرة لا تطول، فالنص في تنوُّعه لا يفعل شيئاً محظوراً على الرواية، أو لم تحاوره روايات، فهو في ارتكازه على علم النفس، وفي تمحوره حول الأمومة، وفي سرده التحليلي، لا يخرج عن أنواع سبقت من الرواية. لا نتملّق النص إذا قلنا إنه، في النهاية، رواية. ذلك لا يعني أنه ليس حرّاً سائب الضفاف، فالرواية تقبل ذلك. إنها أيضاً، إلى هذه الدرجة أو تلك، نص حر سائب الضفاف.

قد يبدو النص مع ذلك تحقيقاً حول الأمومة أو مبحثاً فيها، أو اعترافاً عنها. هذا ما يردنا إلى ما تسميه الكاتبة معمار النص وهندسته. هنا لا نخطئ إذا قلنا إنّ للنص معماره وهندسته المستويين والمقصودين والمشغولين بدرجة من العناية. تريد الراوية أن تروي معاناتها للأمومة، ذلك في ما يبدو، لأول وهلة، محور النص وقاعدته، لكن الكتابة هنا تنبني على نحو خاص. الراوية لا تملك أن تقدّم تجربتها الأمومية بدون محاكمة دائمة، بل إن روايتها في الأغلب هذه المحاكمة، لكن المحاكمة لا تتم بدون مثال تعود إليه وتتخذ منه مرجعاً ومعياراً وحكماً بالتالي. هنا مثال مأخوذ من أمومة أخرى هي أمومة والدة الراوية، أمومة لا تني الراوية تسترجعها عند كل مفترق، تحكمها وتسالها، فالنص هو أيضاً حوار دائما مع الوالدة الراحلة، وأمومة هذه الوالدة كانت هي أيضاً، وما زالت، موضع مراجعة وتحليل، لكن هذين المراجعة والتحليل، ينتميان إلى فترات مختلفة. لقد كان للابنة في يوم حكمها السلبي عليهما، لكن هذا الحكم السلبي هو مثل ماضيها الثوري وشبابها الأول، غرضة لنقد وانسحاب ما يتبقى بعد ذلك تجاه الأم بإيجاب مطلق، بل نوع من التقديس.

في الصفحات الأولى نقرأ: «كنت أمّاً رسولية». هذا النعت الديني يستتبع نعوتاً أخرى مماثلة «عشرة أعوام كانت كافية لتحملي لقبك «العذراء مريم»، ونقع في مكان آخر على «أمي الجميلة والملائكية»، وسنجدها منعوتة بـ«الطهرانية» و«أيوبة الأمّهات». هذا ما انتهت إليه الوالدة التي تعرّضت في فتوة الابنة إلى محاكمات قاسية، تستعيدها في إطار المراجعة والنقد الذاتي. لا بد أنّ هذه المثالية بدت للابنة في أوقات مزعومة وعائدة إلى أنانية مضمرة، بل وبدا في مواضع من الرواية أنّ الوالدة تفعلها وتجتلبها عن قصد لنفسها أو لغيرها. هذه المحاكمة كانت كانت في الغالب اعتذاراً تختزعها الابنة لتبرّر لامبالاتها وغيابها، هي التي ما لبثت أن صارت أمّاً، وألقت بأبنها إلى أمّها، في نوع من غياب الأمومة، كما تكتب يسرى مقدّم التي لا تنقصها غالباً الصور النافذة والتسميات النافذة، والأسلبة الموازية للمشاعر والتأملات.

> لا تملك الراوية أن تقدّم تجربتها الأمومية دون محاكمة

تحاكم الرواية نفسها، وتنتصر كل لحظة لوالدتها في نوع من التذنيب الذاتي. هنا ننتقل من أمومة رفيعة مقدّسة إلى أمومة متدنّية أرضية، هي أمومة الراوية المشوبة منذ البداية بالنّلامبالاة، بل وغياب الأمومة تجاه ابنها من زوجها الأول، وبالذوبان الأمومي في ابنتيها من زواجها الثاني. هذا الذوبان يتعرّض هو الآخر إلى نقد منبثق على الغالب من يسارويّة الشباب، «ليس هذا منتهى الحب حتماً، إنما هي نزعة التملك اللاواعية مقنعة بالحب تموّيها».

(شاعر وروائي من لبنان)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

يُسرى مقدّم

شعر

## لعلّ زهرة الرند البعيدة تنبت في قلبي

# كانت قصيدةً واحدة

صفاء سالم اسكندر

لكنّي وحدي
ما من صلاة لي
هل تريدُ اسمي؟
أعرفُ أنّي لن أتساوى معه.
لم يعُد غبرَ مجازٍ
فاخترتُ حيرتي
وكلّ شيء يتزلّقُ بي إلى الموت،
إلى تلك الوحدة العظيمة.
لا طارقَ لبابها،
من يدري،
لعلّ زهرةَ الرند البعيدة
تنبتُ في قلبي.
تحسسْ خطواتها إلى الرمل،
معنى للمنفى الذي عكس ملامحي ظلّاً
للعابرين،
قبل أن تُرمى أعقابُ السجائر
للشارع الفقير.

فلأهدأ قليلاً،
كلّ يوم أقول: سينتهي اليوم الصعب.
الليلُ وحده يتعفّن مع جسدي
وقد تعبت من انتظار الفجر،
تعبت من انتظار الوردة والزمن الشارد،
بكيتُ، لم أدر
أنّ البلاد تنازعني أيضاً
ذاكَ الحضور المتورّم الذي يهذي له جسدي
كأنّي أسلسلٌ خفّتي.
■■■

1

أريدُ أن أترك شيئاً لكِ
في هذا العالم
كما تدسّين نفسكِ حيث تطمئنّين.
أريد أن أكونَ
الحزنَ الذي يسند بهجة الوردة.

2

في القيامة
ستخذلُكِ الملائكةُ حلمَ شاعرٍ
عندما يحدثُ ذلك
ينبغي لَيدكِ أن تشير إليّ.
■■■

لم يكن صديقي
لكنه يقصد جثّتي التي تنقص بهدوء
منتظرةً ظلام اليوم التالي.
في بداية النهار،
العالم يختار الملل.

...
ويداكِ أقول لسركون بولص
أنّها معبودة
وليست عابدة.
هذه اللعنة تجعلني أرفض محلّ الشيطان
واشتهاء آدم.
لا أريد العبور إلى الجحيم بخطإٍ واحد.
وفي الغرفة
أختنق عشرات المرّات،
أعرف أن اليابسة تغرق أيضاً،
ويمرّ في ذاكرتي شريط لزج،
من يختار اسماً لهذا الحب، هذا الاتساعَ
للمفردة، الغريب كقصص المطر.
...
نظرتُ إلى سركون؛
ربما مساؤك ينتظر قصيدة؛
قال: لقد وجدت نفسها في حكايتك.
أشار، وأكملت...
■■■

كانت قصيدة واحدة
هذه التي كتبتها في المقهى
عن الموت
في لحظة ثقيلة.
ليس من العدل أن تتركني فيها للأوقات
القاسية
لأرى اسمي على الحجر،
ربما أرى بريق عينيك مرّةً أُخرى.
وأنا أرى هذه المسافة البعيدة
هل أنت تسمعني؟
هذه يديك،
دعني أقبّل يديك
قبل أن تصل عشب القبر
وتمسح التراب عن الشاهدة.
أتوهّم
لأن الألم يسحق عظامي
(شاعر وتشكيلي من العراق)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

عمل لـ انييس مايس (1998)

فعاليات

في «المؤسسة العامة للحي الثقافي - كتارا» بالدوحة، يتواصل، حتى الحادي والثلاثين من كانون الاول/ديسمبر المقبل، معرض **النشور الزجاجي الافتراضي** للفنان **فلاح السعيدي** (1976). يضمّ المعرض، الذي افتتح بداية الشهر الجاري، مجموعة مختارة من اعمال التشكيلي العراقي خلال السنوات الماضية.

**المتاحف في العالم العربي بين الدور التقليدي والمستقبل التفاعلي** عنوان الايام الدراسية الذي ينظّمها **تجمّع تراثنا**، عند التاسعة من مساء السبت المقبل، و تتواصل ليومين. يناقش الباحثون المشاركون خمسة محاور اساسية، هي: انواع المتاحف ووضعيتها في البلدان العربية، والمتاحف ودورها داخل المجتمع، وإدارة و تصميم المتاحف و تطورها، وبرامج درء المخاطر، وسياسات الاقتناء.

يستعيد «غاليري ضي» في القاهرة تجربة فنان الغرافيك المصري **يحيى عبده** (1950)، في معرض **ملامح من المشوار** الذي افتتح في الثالث من الشهر الجاري ويتواصل حتى نهايته. يضيء المعرض تأثّر الفنان بالتراث الإسلامي والفنون الشعبية المصرية في اعماله الغرافيكية خلال اكثر من خمسين عاما.

حتى نهاية الشهر الجاري، يتواصل **معرض الكتب والمخطوطات النادرة** الذي افتتح في «قاعة طه باقر» بغداد الاحد الماضي بتنظيم من **دار الكتب والوثائق**. يضمّ المعرض مئات المخطوطات التي يعود اقدمها إلى القرن العاشر الميلادي، مثل «ديوان الحماسة» لابي تمام و«شرح نهج البلاغة» و«كتاب رسوم القضاة».